

نظر ونظر

شعراؤنا في موكب الزفاف

كان زفاف الفاروق حرسه الله بهجة غمرت جنبات مصر ، وهزت شعور أبنائها على اختلاف طبقاتهم بالجدل والسرور ، فنهضوا يتسابقون في إعلان جذلم وسرورهم بشتى المظاهر والظواهر ، فإذا مصر من ذلك في صورة رائعة من الواقع رجحت الخيال ، وأصفرت مالها من الأشباه والنظائر في التاريخ ، وأزرت بما يمثل القصص الموضوع عن « الليالى الملاح » في ألوان الترف والنعيم ، واشتال الأنس والصفاء ، ومهارة العقل فيما أبدع ، وجمال الفن فيما نوى ؛ على أنها تنفرد في هذا كله بجلال الاخلاص ، وصفاء الحب ، وروعة التمجيد . وسيكون للتاريخ من ذلك صفحة وضاء مشرقة ، لم تكن له في الأيام الحالية ، أخشى أن يطالها الناس فيما بعد فيقولوا : إنها تلفيق الخيال ، وصنيع الكذب ، كما نقول نحن في ليالى ومحافل ألف ليلة وليلة وأشباهها من القصص المختلق

لقد شهد المصريون جميعاً ذلك اليوم ، وامتلأت نفوسهم وقلوبهم بروعته وجماله ، واستطاع كل فرد وكل جماعة أن تبرز عن شعورها بذلك أوضح تعبير وأجله ، فكان اليوم في كل مناحيه ومظاهره يوم الشعراء ؛ الشعر يبدو في مجاليه ، والحسن يزهر في حواشيه . هو دنيا تفيض بالجمال والجلال ، وشمس تنع على الكون نور البهاء والرواء ، فأينما مرحت النظر وجدت حفراً للشعور ، وإرهاقاً للإحساس ، وتركبة للمواطف ؛ والشعراء كما نعلم أوفر الناس شعوراً ، وأدقهم إحساساً ، وأزكاهم عاطفة ، تلك هي مواهبهم التي تميزهم عن سائر الناس ، وتطوع لهم الصناعة الشعرية دون غيرهم ، فكان لا بد أن تفيض نفوسهم بما رأوا قوافي كاهل الإحساس بالجمال والجلال ، وأن يجري شعرهم بما في نفوسهم أوزاناً صادقة منسجمة هي لحن الزمن الباقي على الزمن ، ونفحات الأجيال المتعاقبة على كرو الدهور

على هذا الاعتبار كان الشعر سجلاً خالداً لحوادث التاريخ ،

عليه الجامعة الوطنية . هذا ما يقرره العلماء الذين بحثوا في هذه الجامعة وطبيعتها وقيمتها ، وفي مقدمتهم (ريتان) في محاضراته المشهورة التي ألقاها في السربون سنة ١٨٨٢ . وهذا صحيح في الأديان ولكنه ليس بصحيح في الاسلام ، لأن الاسلام ذاته وطنية ، ورابطة اجتماعية معنوية ، ليست قائمة على لغة ولا على أرض . ولكن على ما يسميه (أرنت ريتان) بالارادة المشتركة ويجعله أساس الرابطة الوطنية . فليس وطن المسلم مكة ولا المدينة ولا البلد الذي ولد فيه ، ولكن وطن المسلم المبادئ الاسلامية ، فحينما وجدت هذه المبادئ وحينما كان أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتم وطن المسلم . وعندى أن هذه الرابطة الاسلامية رابطة (إنا المؤمنون إخوة) معجزة من أعظم معجزات الاسلام لأنه أقر منذ أربعة عشر قرناً المبدأ الذي اهتدى إليه العقل البشرى سنة ١٨٨٢ م وسار منذ أربعة عشر قرناً في الاتجاه الذي يسير فيه العالم اليوم . لقد سقط اليوم مبدأ القوميات التي دعا إليه الرئيس ولن بعد الحرب ونهضت المبادئ الفكرية الاقتصادية ، فانقسم العالم كما ترون إلى جهات ثلاث : الديمقراطية والشيوعية والفاشية . وكما أن الشيوعي الفرنسي أخو الشيوعي الروسي ولو تئامت الديار وتباينت اللغات واختلفت الأجناس فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان وكيفما كان . وكما أن الفاشي الإيطالي أقرب إلى الإسباني الفاشي من أخيه الإسباني الشيوعي فكذلك المسلم الهندي أقرب إلى من غير المسلم ولو كان عربياً هاشمياً قرشياً !

وليس هذا مجال البحث في الجامعة الاسلامية ، وطريق تحقيقها ، فإن لهذا البحث موطناً آخر ^(١) وما أردت إلا لفت أنظاركم إلى هذه الناحية من الاسلام ، لأقول بأن الشاب المسلم لا يستطيع أن يندمج في أى رابطة دولية تقوم على أخوة غير الأخوة الاسلامية ، ولا يقدر أن يدعو إلى أى رابطة قومية أو جنسية لأنه ليس من المسلمين من دعا بدعوة الجاهلية .. « البقية في العدد القادم » على الطنطاوى

(١) وإن هذه الجامعة التي تسخر اليوم في قلوب المسلمين عقيدة من عقائد الدين الأول ، وأمل من آمال الحياة السامية ، ستغدو في القدر القريب حقيقة واقعة مشاهدة ، وقد بدت بوادرها في اتجاه مصر العظيمة إلى الاسلام ، ورجوعها إلى الدين ، يقدمها أمير المؤمنين الملك الصالح (فاروق) آمين الله به الدين وحقق فيه آمال المسلمين

وعظام الدهر، وروائع الأيام؛ وعلى هذا الاعتبار اندفع الشعراء قديماً يتحدثون عن زفاف المأمون إلى بوران، وهو زفاف له في التاريخ خبر مشهور، وهو يشبه زفاف الفاروق في كثير من الأفراح والمآل؛ وعلى هذا الاعتبار أيضاً انتظرنا وانتظر الناس ما وراء شعرائنا في اليوم الحافل، والزفاف الذي لم يمهّد مثله في عصر من العصور، وقلنا: لعلهم يتركون في ذلك للأجيال المقبلة صفحة قوية بروعة التصوير وإبداع المعاني، وجمال الأسلوب، وانسجام الخيال، وسلامة الذوق

ولقد قال شعراؤنا في يوم الزفاف ما وسعهم القول، ففاضت أنهار الصحف بكثير من الكلام الملقى الممنهج الأشطار مقدماً بالتقاريز والتركيبة، وأقيمت حفلات متعددة «أراق» فيها الشعراء على «مناشد» الشعر ما أعدوا لذلك من كل «خريدة عصاء» رسم حدودها الخيال وباله من خيال... ونسق وشيها الذوق وإنه لذوق... وأبدع معانيها العقل وأى عقل... وقد سمنا الجمهور بهتز لكل ذلك طرباً، ويصفق من العجب تصفيقاً عالياً مدوياً أدى الأثكف، وسك السامع، وأحجر الأعصاب. ولو كان الحكم الأدبي ومقاييس الشعر هي على ما يرى الجمهور وتقدير الصحافة لكان شعراؤنا على ذلك قد بلغوا الذروة التي لا نظائر، ولكان شعرهم آية الإبداع والاختراع، فمن حقه البقاء والخلود والإجلال والتقدير، ومن الواجب علينا أن نعتز به ونفاخر، وأن نكتبه في «القباطي» ونعلقه بأستار... بأستار مالا أعرف!!

ولكن الحكم الأدبي في تقدير الفن والأدب إنما هو الذي يستطيع تحليل حكمه كما يقول العقاد. فإذا عجز عن الحكم استطاع أن يعلل. عجزه بكلام سائح في الأفهام، ولا يكون ذلك إلا ناقد ذو ثقافة أدبية واسعة، وطبيعة فنية موهوبة، ونظر مميز فاحص. فهو الذي يمكنه أن يميز الجوهر من الخرف، والدر من الصدف؛ وهذا التمييز هو المول عليه في التقدير الحق، وهو الحكم الأدبي الصحيح الذي يرمقه المعنيون بدراسة التواريخ الأدبية للأُمم والأفراد، ثم هو الذي سيق على الزمن على حين تطير الفواقر والقواقع، وتغوت التقاريز الأدبية الرخيصة، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. وأنت أبقاك الله

تعلم حق العلم أن حكم الناقد إنما يكون له هذا المقام من الاجلال والاكبار والتقدير والتقدير إذا ما تجرد من الهوى والميل، وتنكب التدليس والتزويق، وارتفع عن الارتباطات الشخصية وعلاقات الصداقة، وكان القصد فيه الحق للحق، والفن للفن والانصاف مجرداً عن كل غاية ومأرب، فإن الأمور الشخصية والميل مع الهوى شر مأميت به أعمال الخير في كل عصر ومصر، وشر مأمي به النقد الأدبي في مصر على الخصوص، وشر مأمي به الأدب في جميع نواحيه على تقدير صحافتنا سددها الله إلى الرشد، فكان من وراء هذا أن ساء ظن الناس في أهل الأدب والنقد، وأصبح وجود الناقد الحر في اعتقادهم كوجود الذول والمنعاه والخل الرقي!

ولقد اتفينا أن نتناول شعر الزفاف بالنظر والنقد على ما يتفق وحرمة النقد البريء، وكرامة الفن المهذب، ومهمة «الرسالة» الشريفة. سنقول للمحسن أحسنت، وللنسيء أسأت. سننظر إلى ما قيل لا إلى من قال، لا نخضع في ذلك إلا لوازع الضمير وسلطان الحق، ومعايير الفن. ويعلم الله لقد حفلنا لذلك ما وسع الجهد، فسبقنا إلى كل حفل، ونهضنا إلى كل جمع، واستمعنا وقرأنا كل ما قيل وما نشر حتى ما لا يستحق أن يسمع ولا أن يقرأ. ولعلنا بهذا العمل نكون قد سجلنا على صفحات الرسالة، وهي سجل الأدب الخالد، لوناً طريفاً من ألوان الأدب لا يخلفه إلا المناسبات الطيبة، والفرص السعيدة، وما أفلها في تاريخ الأمم، وما أندرها في حياة الأفراد

ولا أكتفك الحق إذا قلت لك إن شعراء الزفاف قد قصرُوا عن الشأو، وقعدوا دون الغاية، وخيوا الأمل، وكان الأمل فيهم كبيراً، وخذلوا الشعر وكنا نرجو للشعر على أيديهم نصراً آميناً!! الأمر الذي جعلنا نعتقد اعتقاداً صحيحاً أن الميدان قد خلا من بعد صاحب الشوقيات، وأن الشعر عند شعرائنا تلفيق وشعوذة وصناعة احتطاب على حد تعبير الراجي رحمه الله، فليس هناك إلا إحساس ضئيل إن دل على شيء فأنما يدل على أن في نفس صاحبه شاعرية كنبوة مسيلة...

لقد كان يوم الزفاف حافلاً بمآل الزينة والبهجة، يفيض كما قلنا بالجمال والجلال، والبهاء والرواء، فكان في كل منظر

أناسير صرفية

جيتانجالي

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

— ٩٧ —

سأزينك بالرايات والألكاليل علامة غلبتك علي؛ فإكان في
قوتي أن أدفع عن نفسي الهزيمة

لا ريب، فكبريائي قد عُصف بها، وحياتي تصدعت عن
آلام مبرحة، وقلبي الخاوي تفجر عن لحن موسيقى كأنه البراع
المثقب، وهذه الأحجار الصماء ستحور عبرات

لا ريب في أن أوراق زهرة اللوتس لن تظل متهاككة أبد
الدهر؛ وأن رحيقها المكنون سيبدو في وقت ما

ومن خلال السماء الزرقاء ستحدق عين في ثم تناديني في
صمت، فأنفض عن كل شيء... كل ما أملك... ثم أقبّل
القضاء المحتوم عند قدميك

— ٩٨ —

حين ألقى بالدفة من عيني ألقى بها لأنه يكون قد آن لك أن
تديرها أنت، وسيتم كل ما تريد في لحظات، وعبثاً هذا الجهاد
إذن ألق السّلم — يا قلبي — واصبر في صمت على ما منيت
به من إخفاق، وتيق بأنه من حسن حظك أن تستقر هادئاً في
مكانك... مكانك الذي حلت

ولكن ما عذر شاعرنا وزفاف الفاروق لم يكن نجاة وإنما كان
حديث الناس منذ زمن طويل يتسع لكل شيء

نحن لا نتجني على الحق، ولا نحب أن نلقى الكلام على
عواهنه، ولكن نحب أن نشرح ونطل، وأن تقدم الأمثال
والشواهد، ولذلك آثرنا أن نقف مع كل شاعر على حدة فنقرر
ماله وما عليه، وموعداً بذلك المقالات الآتية إن شاء الله

« م . ف . ع »

شعر، وفي كل مظهر سحر، وفي كل وضع فن، فلو فاز ذلك
اليوم بشاعر كابن الرومي أو شوقي لرج الشعر والفن؛ ولكن كل
هذا لم يكن له مع الأسف أدنى أثر في إحساس شعرائنا، فطاروا
بخيالهم إلى عتات السماء، بصفون النجوم وجالها، والأفلاك
ومداراتها، وراحوا يُسقطون الطيور بالسجع، والعنادل
بالتغريد، وقفزوا إلى الربى قد غطاها الزهر والنور وما في مصر
شبه رابية من ذلك، واهتموا كثيراً بداوود ومزمارة، وعنوا
جميعاً أن يذكرونا بيوم الحشر والنشر، وكانهم لم يعرفوا من
سجيا الملك إلا الذهاب إلى المساجد وصباحة الوجه فوققوا عند
هذا الحد وما زادوا! ثم هم قد جروا على طريقة لا تُرضى في
الأسلوب الشعري. يريد بعضهم أن يقوى فيتعجرف، ويروق
لبعضهم أن يلين فيسُخف؛ أما الإحساس بما كان من بهجة
الزفاف، وروعة الزينة، واشتغال الصفو، وفرح الشعب، وتراحيم
المواكب، وعرض الجيش؛ وأما الملك يبادل شعبه على هذا كله
جباً بحب، وعطفاً بمطف، كل هذا لا نجد له ذكراً في شعر
الزفاف. فكان غاية القول عندنا أن ترسم السابقين في إحساسهم
وخيالهم وأسلوبهم، لا أنت تقول كما نحس وعلى ما نرى
وبما نسمع!!

إن شعر الزفاف في الواقع قد جاء فاقداً للخصائص المميزة،
وهي لا شك كل شيء في الشعر خصوصاً شعر الوصف والمديح.
فمن السهل جداً أن يحول ذلك الشعر إلى حفل آخر، ومن السهل
جداً على شعرائنا أن يقصدوا به إلى أي موقف. فلو وقفوا مثلاً
في يوم عيد الميلاد الملكي القبل ينشدون شعرهم هذا للجمهور
لصفق لهم الجمهور وقرظهم الصحافة. أليس من الزول كما يقول
المرى أن يقف أحد أولئك الشمرء فيلقى مطولة في حفل حافل
وكلها تعجيد لجلالة الملك وإشادة بأخلاقه وليس فيها ذكر للزفاف
ولا أي خبر عنه؟ ومن يدري لعل ذلك الشاعر كان قد قال
قصيده هذه في عظيم من قبل، ولم له ينوي أن يقولها في عظيم
من بعد! وقد بدا دخل أحدهم على سلم الخاسر فوجده يعمل قصائد
بعضها في رثاء أم جعفر وأم جعفر باقية، وبعضها في مدح رجال
لم تعين أسماؤهم بعد! فقال: ما هذا يا سلم؟ قال: وما أصنع يا أخي وقد
حدثت الحوادث فجأة فيطلب إلينا القول ولا يرضى منا إلا بالجليد!!